الفصل الثالث

تاريخ الصين الحديث (الفترة الثانية)

تطور علاقات الصين مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثالث

تاريخ الصين الحديث (الفترة الثانية)

تطور علاقات الصين مع الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي

أولاً: العلاقات الصينية الأمريكية

لعل من المناسب الإشارة إلى المسألة الكورية ، لما كان لها من أثر في العلاقات الصينية – الأمريكية كما سنرى بعد قليل .

(١) جذور المشكلة

في الوقت الذي كانت فيه كل من واشنطن وباريس ولندن تقيم احتفالاتها بالانتصار عام ١٩٤٥ على دول المحور (إيطاليا – ألمانيا – اليابان) في الحرب العالمية الثانية – كانت هناك مشكلة تنمو وتختمر في أحد أركان منطقة الشرق الأقصى ، لم تكن تحظى بأي اهتمام نظرًا لعدم بروزها على الساحة العسكرية. وأصبحت كوريا منطقة تتبارى بشأنها الدول الكبرى ، وكان الطرفان المتنافسان هما الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

فمنذ ١٩١٠ ، كانت اليابان قد ضمنت إليها كوريا بعد انتصارها على كلٍ من الصين وروسيا على التوالي. غير أن هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ قد حول كوريا إلى منطقة للفراغ السياسي. وفي مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في موسكو في ديسمبر ١٩٤٥ ، قرر الحلفاء ضم كوريا تحت وصاية كلٍ من الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي وبريطانيا والصين، على أن تحصل كوريا على استقلالها من خلال هذه الوصاية بعد خمس سنوات .

وكانت وجهة النظر السوفييتية ترى أن كوريا الموالية لها – أو حتى المقسمة ، بحيث يكون الجانب الشمالي منها في أيدي دولة صديقة تكون بمثابة منطقة عازلة تجعل الإتحاد السوفييتي في مأمن من أى هجوم يقع عليه من ناحية كوريا

لوقوعها قرب حدوده – أما وجهة النظر الأمريكية ، فكانت تود لو تصبح كوريا بلدًا صديقًا مواليًا لا يقع تحت سيطرة الإتحاد السوفييتي. لذلك اهتمت الولايات المتحدة بالمشاركة في إدارة كوريا ، ومن جهة أخرى كان لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي حق مشروع في إجلاء القوات اليابانية عن كوريا .

ومن خلال سعي كلٍ من الولايات المتحدة ، والإتحاد السوفييتي لتحقيق مصالحهما ، والإشراف على إجلاء اليابانيين ، قامت الدولتان بإرسال قواتهما إلى كوريا، وكان ذلك بمثابة بذر بذور المتاعب: فتقدمت الولايات المتحدة باقتراح بأن يكون خط عرض ٣٨ درجة شمالاً كخطٍ حكمي مؤقت يفصل بين القوات السوفييتية والقوات الأمريكية في كوريا . وعلى ذلك احتلت القوات السوفييتية الجزء الشمالي منها حتى ذلك الخط ، واحتلت القوات الأمريكية الجزء الجنوبي من كوريا بما فيها العاصمة سيؤول.(١)

غير أن حكومة الولايات المتحدة بادرت من جانبها بعرض المسألة على الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ مطالبةً الحكومة السوفييتية بدعوة كلٍ من ممثلي كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية لحضور المناقشات ، ولما رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الطلب انسحب الإتحاد السوفييتي ومن يدور في فلكه من الدول الاشتراكية مقررين عدم المشاركة في نظر المسألة، وبالتالي عدم التصويت عليها .

وبعد مناقشات مضنية، قررت الجمعية العامة بأكثرية الأصوات تشكيل لجنة دولية أنيط بها مهمة الإشراف على إجراء انتخابات عامة تمهيدًا لتأليف الحكومة من شطرى كوريا، والعمل على جلاء قوات الاحتلال. وباشرت اللجنة إجراء هذه الانتخابات في كوريا الجنوبية في ١٠ مايو ١٩٤٨، وأسفرت عن فوز ما سمى " بالرابطة القومية للتحقيق الناجز لاستقلال كوريا "، وأسند إلى زعيمها " سينجمان رى " مهمة تشكيل الحكومة.

---

(1) Danovan, R. Tumultuous Years 1.st edition. P.89.

أما في كوريا الشمالية ، فقد تشكلت لجنة برئاسة " كيم- إل- سونج " لإعداد مشروع الدستور. وأجريت انتخابات عامة في كوريا أشترك فيها الكوريون الجنوبيون من الشيوعيين ، وتكونت لجنة أُطلق عليها أسم " جمعية شعب كوريا بأسره"، تضم من الشماليين ٢١٢ عضوًا، ومن الجنوبين ٢٦٠ عضوًا . وعلى إثر ذلك تشكلت حكومة جمهورية كوريا الشعبية في سبتمبر ١٩٤٨ وسارع الإتحاد السوفييتي بالاعتراف بها فضلاً عن قيام الصين بذلك أيضًا .

ولقد سعت الولايات المتحدة إلى ضم كوريا الجنوبية إلى الأمم المتحدة، وحذا الإتحاد السوفييتي نفس الحذو بالنسبة لكوريا الشمالية. بيد أن كلاً من الدولتين قد عمدتا إلى استخدام حق الفيتو ضد الأخرى ، مما أسفر عن رفض مجلس الأمن قبول أى من الكوريتين عضوًا في المنظمة. وفي ديسمبر ١٩٤٨ أعلن الإتحاد السوفييتي سحب قواته من كوريا الشمالية ، وفعلت الولايات المتحدة نفس الشيء بالنسبة لكوريا الجنوبية - مما جعل الموقف مشابهًا بعض الشيء للوضع الذي ساد ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية ، وأصبح خط عرض ٣٨ درجة شمالاً بمثابة حد سياسي يفصل المنقطتين ، تقوم على جانبيه حكومتان في حالة عداء وتنافر الواحدة مع الأخرى .

(٢) نشوب الحرب الكورية

ما لبثت العداوة التي زرعت على جانبي خط عرض ٣٨ شمالاً أن اتخذت مظهر الحرب الفعلية عندما تخطت قوات كوريا الشمالية هذه الحدود فطالبت الولايات المتحدة بعرض الأمر على مجلس الأمن. وأعلن الإتحاد السوفييتي عدم مشاركته في نظر القضية إلا بعد حصول الصين الشعبية على مقعد لها في مجلس الأمن. وفي هذا الظرف، صدر قرار مجلس الأمن داعيًا إلى وقف القتال ، والانسحاب إلى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً .

غير أن النزاع أخذ منعطفًا خطيرًا حين كلفت الولايات المتحدة الجنرال ماك آرثر، القائد العام لقوات الحلفاء في اليابان بدعم القوات الكورية الجنوبية

بالسلاح والعتاد ، وإعدادها للقتال. وفي هذه الأثناء ، كانت قد وردت تقارير لجنة الأمم المتحدة في كوريا تدين كوريا الشمالية بالعدوان ، مما جعل الولايات المتحدة تتخذ خطوة جديدة نحو تقديم طلب لمجلس الأمن لإصدار قرار بفرض عقوبات ضد كوريا الشمالية. وصدرت بالفعل موافقة المجلس على مشروع القرار بأغلبية الأصوات في ٢٧ يونيو عام ١٩٥١.

ولم يمض على القرار المذكور أكثر من يومين حتى أصدر الرئيس الأمريكي ترومان أوامر للجنرال ماك آرثر بإنزال قوات برية في الأراضي الكورية. فضلاً عن محاصرة شواطئها ، وزيادة على ذلك ، فقد أصدر أوامر بأن يقوم سلاح الطيران الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية في كوريا الشمالية.

(٣) مراحل الحرب الكورية

يمكن تقسيم هذه الحرب – لما لها من انعكاسات شديدة – إلى ثلاثة مراحل، لكل مرحلة منها سمة خاصة . فالمرحلة الأولى اتسمت بعزوف الأمريكيين عن محاولات السلام، والتردد حتى تدخلت الصين ، وأما المرحلة الثانية ، فقد تميزت بدخول الصين الحرب حين بات الخطر على أبوابها . أما المرحلة الثالثة ، فقد تميزت بإدراك الولايات المتحدة للمخاطر الكبرى الناجمة عن تهور الجنرال " ماك آرثر"، وتصميمه على ضرب الصين .

وانتهت هذه المرحلة بتسوية النزاع جزئيًا على نحو ما سنرى بدرجة من التفصيل.

أولاً : المرحلة الأولى منذ قيام الحرب حتى تدخل الصين

كان الرئيس الهندي " جواهر لال نهرو" قد قام بمحاولات سلمية عام ١٩٥٠ لحل هذا النزاع الذي صار يتخذ أبعادًا واسعة، مقترحًا قبول جمهورية الصين الشعبية عضوًا في الأمم المتحدة مقابل إجراء تسوية مقبولة للنزاع الكوري . وقبل الإتحاد السوفييتي هذا العرض ، على أن يتولى الخمسة الكبار حل النزاع – لكن الولايات المتحدة رفضت فكرة قبول الصين عضوًا في الأمم المتحدة رفضًا قاطعًا ، وبذلك فشلت المساعي الهندية .

وحقيقة الأمر ، أن الولايات المتحدة كانت تواجه في تلك المرحلة مشكلة حرجة ، تتمثل في ترددها في اتخاذ أي من الموقفين: إما الاكتفاء بصد العدوان دون اجتياز خط عرض ٣٨ درجة شمالاً ، وإما مواصلة تقدمها شمالاً عبر هذا الخط ، إلا أن ماك آرثر ما لبث أن أصد أوامره لقوات كوريا الجنوبية باجتياز هذا الخط، ولحقت بها قوات الأمم المتحدة. وبذلك تنتهي هذه المرحلة من مراحل الحرب الكورية التي تحولت فيها الولايات المتحدة من الدفاع إلى الهجوم .

ثانياً: المرحلة الثانية: من بداية التدخل الصيني حتى عزل الجنرال ماك آرثر في إبريل ١٩٥١

ما أن رأت الصين أن قوات الأمم المتحدة قد اجتازت خط عرض ٣٨ درجة شمالاً حتى بادرت بالتدخل بمباركة من الإتحاد السوفييتي ، حيث بدا واضحًا أن قوات الأمم المتحدة هذه تقع تحت السيطرة الكاملة للولايات المتحدة . ولم تقبل الصين أن تقترب هذه القوات من حدودها . فبادرت بإرسال موجات ضخمة من الصينيين على شكل متطوعين إلى جبهة القتال. إزاء هذا التدخل الصيني ، أصبح ميزان القوى مختلاً ، وانقلب الحال في غير صالح قوات الأمم المتحدة . وحاول ماك آرثر عبثًا أن يتقدم بقوات الأمم المتحدة للتصدي للقوات الصينية الزاحفة .

وفكر " ماك آرثر" في طلب التصريح له بضرب الصين جوًا ، لكن حلفاء أمريكا عارضوا هذه الفكرة ، مخافة أن يؤدي ذلك إلى تدخل السوفييت واتساع رقعة الحرب حتى تشمل الميدان الأوروبي في وقت لم تكن فيه الولايات المتحدة أو حليفاتها على أدنى استعداد للدخول في حرب عالمية ثالثة . غير أن الصين كانت تشترط لوقف القتال شروطًا لم تكن لتقبلها الولايات المتحدة بحالٍ من الأحوال، من أمثال ذلك قبولها عضوًا في الأمم المتحدة ، والتخلي عن فرموزا ، والانسحاب إلى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً . وأمام موقف الصين المتشدد ، فكر الرئيس الأمريكي " ترومان" في استخدام القنبلة الذرية ضدها.[١]

وفي ٢٠ يناير من عام ١٩٥١ ، وافقت اللجنة السياسية للأمم المتحدة بناءً

---

(١) د. محمد محمود السروجي ، سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ص ٢٤٧ .

على اقتراح الولايات المتحدة – بطبيعة الحال – على اعتبار الصين الشعبية دولة معتدية. وأصر الجنرال " ماك آرثر" على رأيه من أن إحراز النصر النهائي لا يتأتى إلا بضرب الصين ضربة قاصمة . فعرض على سلطات كوريا الشمالية – دون الرجوع إلى حكومته – وإما عقد هدنة – وإلا امتداد عملياته الحربية إلى قلب الصين . وأمام هذا التهور الواضح ، أصدر الرئيس ترومان قراره في ١٠ إبريل ١٩٥١ بعزل " ماك آرثر" من كافة سلطاته.

ثالثاً: المرحلة الثالثة: وتشمل الفترة من عزل ماك آرثر حتى التسوية الجزئية للنزاع

لقد كان لعجز الطرفين ، الأمريكي والصيني ، عن إحراز معركة حاسمة في كوريا ، أكبر الأثر في لجوء الطرفين للتفاوض، ولاسيما بعد أن أعلن مندوب الإتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة أن التعايش السلمي بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي أمر ممكن ، وأن بالإمكان حل المشكلة الكورية بسحب قوات الطرفين من على جانب خط عرض ٣٨ درجة شمالاً . وبدأت المفاوضات في ١٠ يوليو ١٩٥١ بين كل من ممثلي الولايات المتحدة ، وكوريا الشمالية ، والمتطوعين الصينيين . وعرض الشيوعيون مقترحاتهم التي تتلخص فيما يلي :

- وقف إطلاق النار فورًا ، وقبل الشروع في مفاوضات الهدنة .
- اعتبار خط عرض ٣٨ درجة شمالاً بمثابة خد فاصل من الوجهة العسكرية على أن يتم ترك مسافة عشرة كيلو مترات على جانبي هذا الخط كمنطقة منزوعة السلاح.
- سحب جميع القوات الأجنبية من كوريا في أسرع وقت .

لكن المفاوضات تعثرت بين الطرفين وقتًا طويلاً ، حتى أقدمت الصين من جانبها في ٣٠ مارس ١٩٥٣ على خطة في طريق الحل. فاقترح " شو إين لاى" قبول المشروع الهندي الخاص بتسليم الأسرى لدولة محايدة ، ومن ثم يمكن الجانبان الأمريكي والكوري الشمالي من تبادل عدد من الأسرى .

وفي ٧ يونيو ١٩٥٣، تم توقيع اتفاق بخصوص الخط الفاصل للهدنة ، وهو خط ينحرف قليلاً عن خط عرض ٣٨ درجة شمالاً ، ويقطعه من ناحية الغرب

ومن الجنوب الغربي باتجاه الشرق والشمال الشرقي .

وفي النهاية ، فقد أمكن توقيع اتفاق هدنة في (بانمو نجوم) على أن يفصل بين الجيشين منطقة مجردة من السلاح عرضها أربعة كيلو مترات، توطئة لعقد مؤتمر سياسي في ظرف ثلاثة شهور لإيجاد التسوية الشاملة للمشكلة الكورية . وكانت النتيجة أن وقعت الولايات المتحدة في ٧ أغسطس ١٩٥٣ معاهدة دفاعية بينها وبين كوريا الجنوبية. وقام الإتحاد السوفييتي من جانبه بنفس الشيء بالنسبة لكوريا الشمالية. ولكن اختلاف وجهات النظر بين الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا بشأن الهدف من عقد المؤتمر السياسي لتسوية المشكلة ، حال دون انعقاده – إذ كانت الولايات المتحدة تهدف من وراء عقده إلى توحيد كوريا في نهاية الأمر ، في حين كانت بريطانيا ترى أن الهدف من عقده ينحصر فقط في حماية كوريا الجنوبية من العدوان الشيوعي . وفي النهاية ، فإن الحرب الكورية تركت بصماتها واضحة على العلاقات الصينية – الأمريكية .

العلاقات الصينية – الأمريكية أثناء الحرب الكورية

لم يتوقف التوتر بين الصينيين والأمريكيين عن التصاعد أثناء الحرب ، وصار أكثر تفجرًا عندما رفضت الصين إطلاق سراح الطيارين الأمريكيين الذين كانت تحتجزهم ، وخلال شتاء عام ١٩٥٤-١٩٥٥ حينما خوّل الكونجرس الأمريكي للرئيس "أيزنهاور " التصرف حسبما يراه ضروريًا للدفاع عن "تايوان والبسكادور" ، أدركت الصين أن إصرارها على موقفها قد لا يجديها نفعًا، وأنه سوف يتسبب في الإضرار بأمنها في نفس الوقت الذي أدركت فيه أن الدول الآسيوية المحايدة لن تستطيع أن تمد لها يد العون. ولقد تجلت رغبة الصين واضحةً جلية في إحداث تغيير أثناء مؤتمر باندونج ، فشرعت في إجراء اتصالات دبلوماسية محدودة بين سفرائها والسفراء الأمريكيين أولاً في جنيف ، ثم بعد ذلك في وارسو .

وأثناء هذه الاتصالات ، كانت أمريكا تمارس ضغطها على الصين- لكى تعلن أنها سوف لا تعمل على تحرير تايوان بالقوة، في حين طالب الصينيون بعقد

مؤتمر سياسي موسع بين وزراء خارجية الصين ، وأمريكا لتتم مناقشة كافة المشكلات المُعلقة بين البلدين. (١)

وكان الأمريكيون يدركون جيدًا قبل نشوب الحرب الكورية عام ١٩٥٠ أن الشيوعيين الصينيين رغم تمكنهم من إقامة حكومتهم الشيوعية في أكتوبر ١٩٤٩، فإن هناك نزعتين متعارضتين: أولهما النزعة الشيوعية السوفييتية في السيطرة ، وثانيهما النزعة القومية الصينية المتصاعدة ، وأن الشقاق سوف يدب لا محالة بين النزعتين . لذلك، حينما أعد الشيوعيون الصينيون أنفسهم في مستهل عام ١٩٥٠ لغزو تايوان ، أعلنت الحكومة الأمريكية أنها سوف لن تتدخل عسكريًا لمنع هذا الغزو .

لكن الموقف تغير كثيرًا نتيجة النشوب المفاجئ للحرب الكورية في يونيو ١٩٥٠. فحينما تقدمت الحرب ، ومالت الكفة ضد الكوريين الشماليين ، خشى الصينيون من التهديد المباشر لمنطقة شمال شرقى الصين . وحدثت نقطة تحول حاسمة في شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٥٠ حينما بدا أن قوات الأمم المتحدة التي أيقنت الصين أنها قوات تابعة للولايات المتحدة – يمكن لها عبور خط عرض ٤٨ درجة ، والتوجه شمالاً . وخشيت الصين من احتمال انهيار الحكم الشيوعي القائم في كوريا الشمالية – إذ كانت الصين تعتبرها بمثابة منطقة عازلة (Buffer) لازمة لأمن الصين.

لذلك وجهت الصين تحذيراً للأمريكيين أنهم إذا عبروا خط ٣٨ درجة، فإن الصين لن تقف مكتوفة الأيدي. وحينما تجاهلت الولايات المتحدة هذا التحذير الصيني ، تحركت موجات من المتطوعين الصينيين إلى كوريا الشمالية. ولم تلبث فترة وجيزة حتى صارت الحرب الكورية بمثابة صراع عسكري واضح بين الولايات المتحدة والصين .

---

(1) T. Mende, La Chine et son Ombne P. 287.

إذن ، فالحرب الكورية قد عملت على إيجاد جو من الشك المتبادل والريب بين الصين والولايات المتحدة مما نجم عنه استمرار المواجهة المكشوفة بين البلدين امتدت كما سنرى إلى نحو عشرين عامًا خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين . ففى الفترة التي أعقبت الحرب الكورية ، كانت سياسة الولايات المتحدة تجاه الصين تتمثل في محاولة احتوائها بما أطلق عليه سياسة الاحتواء(Containment) حسبما خطط لذلك وزير الخارجية الأمريكي " دالاس" بهدف عزلها ، ثم تقليل نفوذها الخارجي لكى لا تمثل ضغطًا على جيرانها، وحتى تكون الظاهرة الصينية مجرد ظاهرة عرضية زائلة.(١)

ولتنفيذ هذه السياسة ، عمدت الولايات المتحدة إل تعزيز إنشاء شبكة من التحالفات العسكرية من كلٍ من اليابان ، وكوريا الجنوبية، وتايوان، بالإضافة إلى دول حلف السيتو (Seato) المؤلفة من كلٍ من تايلاند، والفلبين، والباكستان، كأعضاء أسيويين ، وكذلك حلف الأنزوس (Anzus)، المكون من أستراليا ونيوزلندة ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة ذاتها. وهذه الأحلاف بطبيعة الحال، كانت بمثابة عزل واحتواء للصين. أما الصين ، فقد كان يضايقها ويستثير مشاعرها استمرار الدعم الأمريكي لنظام حكم " الصين الوطنية " الذي وقعت معه واشنطن معاهدة دفاعية في عام ١٩٥٤ . وكانت الصين تستند في مواجهة هذا التهديد المحدق بها إلى معاهدات مع الإتحاد السوفييتي ، ولكنها ما لبثت أن قامت ببناء قواتها الذاتية .

وعقب انتهاء الحرب الكورية ، وأثناء الفترة من ١٩٥٤-١٩٥٥ حاولت الصين عن طريق الضغط العسكري المحدود ، إزاحة الولايات المتحدة من المنطقة المجاورة للصين – أى من تايوان بوجه خاص. وبعد أن فشلت الصين في ذلك اتخذت سياسة أكثر ليونة ومرونة . في الفترة من ١٩٥٥ – ١٩٥٦ بهدف تحقيق أهدافها في تايوان بالأسلوب السياسي . ولكن هذه السياسة فشلت

(1) Barnet, A.D., China and the Major Powersin East Asia P. 179

بدورها ، فعاد الصينيون مرة أخرى يجربون الضغط عام ١٩٥٨، مما أثار أزمة كبرى في مضيق تايوان للمرة الثانية – ذلك أن الولايات المتحدة أعلنت تعبئة قواتها في المنطقة ، وعادت الصين مرة أخرى إلى أسلوب التفاوض.

ولكن يلاحظ أنه أثناء التفاوض المباشر مع الأمريكيين أن الصين أصبحت أكثر تشددًا وميلاً إلى اتخاذ مواقف دفاعية في ذات الوقت . وقد تبلور هذا الموقف نظرًا لتصاعد حدة النزاع بين الصين والإتحاد السوفييتي آنذاك – الأمر الذي أسفر عن فقدان الصين لدعم موسكو ، مما جعل بكين في وضع رأت فيه نفسها محاصرة ، يجري الضغط عليها من كلٍ من واشنطن وموسكو على حدٍ سواء. وبحلول عام ١٩٦٠، حينما اتضح الصدع الصيني – السوفييتي ، بدأ الخطر الصيني يتضاءل حجمه أمام أعين الأمريكيين ، مما جعل الساسة الأمريكيين في النصف الأخير من عام ١٩٦٠ هم الذين يتوجهون نحو بكين للتفاوض معها .

تطور العلاقات الصينية – الأمريكية نحو التفاوض

لقد كانت المرة الأولى التي يتم فيها جلوس الأمريكيين والصينيين الشيوعيين حول مائدة المفاوضات بعد عام ١٩٤٩ في كوريا ، حينما كانت الحرب الكورية على أشدها ، وحيث أدرك الطرفان في عام ١٩٥١ أن قيام أيٍ من الطرفين بتحقيق نصر حاسم سوف يؤدى إلى توسيع رقعة الحرب بدرجة كبيرة. فلذلك أجتمع العسكريون من الأمريكيين ، ومن كوريا الجنوبية ، ومن الصين ومن كوريا الشمالية في شهر يونيو ١٩٥١ لمناقشة وقف إطلاق النار – الأمر الذي أسفر عن توقيع هدنة بانمونجوم (Panmunjom) في يونيو ١٩٥٣ .

وفي شتاء ١٩٥٣/ ١٩٥٤ ، اتجهت أنظار الصين والولايات المتحدة – بل وأغلبية العالم إلى دول الهند الصينية حينما بلغت الحرب الأهلية الدائرة هناك منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية حدًا حرجًا . ولكن الملاحظ أن الصينيين لم يجدوا في هذه الحرب الدائرة في الهند الصينية تهديدًا مباشرًا لهم بمثل ما حدث بالنسبة للحرب في كوريا الشمالية التي كانت تعتبر كمنطقة عازلة كما سبقت الإشارة .

بداية الإنفتاح الأمريكي تجاه الصين

كان الرئيس الأمريكي " نيكسون" يقوم برحلة امتدت لبضعة أسابيع ، طاف فيها حول العالم في أواخر يوليو وبداية أغسطس ١٩٦٩ ، وتوقف فيها في كل من فيتنام الجنوبية ، والهند ، والباكستان ، ورومانيا، وعمد الرئيس الأمريكي أثناء وجوده في كل من إسلام أباد وبوخارست إلى الكشف عن فكرته الداعية إلى الانفتاح نحو الصين أمام كل من الرئيس الباكستاني يحى خان ، والرئيس الروماني نيكولاى تشاوشيسكو ، موضحًا أيضًا أن الولايات المتحدة بسبيل الجلاء الكامل عن فيتنام ، وأنه يريد التحدث إلى الصين في هذا الخصوص. وقد وعد كل من يحي خان ، والرئيس الروماني تشاوشيسكو اللذان كانا يرتبطان بعلاقات ودية مع بكين بإبلاغ هذه الرغبة إلى المسؤولين الصينيين .

وحينما هبطت طائرة "نيكسون" في "جوام"، أوضح الرئيس الأمريكي سياسته هذه التي صارت تعرف بمبدأ "نيكسون" (Doctnine Nixon)، والتي تتضمن رسالة موجهة للصين ، بأن عصر التدخل الأمريكي في الحروب الهامشية قد ولىَّ إلى غير رجعة. وألمح نيكسون إلى أن الولايات المتحدة مستعدة في ذات الوقت للوفاء بتعهداتها بالمال والمعدات لحلفائها ، ولكن ليس بالرجال — إلا في حالة ما يكون الخطر الذي يلحق بحلفائها آتياً من جانب دولة نووية. ويقتضي تطبيق هذا المبدأ حتمية تخفيض التواجد الأمريكي في آسيا. وقد أشفع "نيكسون" هذا الاتجاه بالإعلان عن عدة إشارات نحو التصالح مع الصين تضمنت ما يلي :

— أنه ابتداء من ٢١ يوليو ١٩٦٩ صدرت التعليمات تجيز لرجال الجامعات الأمريكيين والصحافيين والطلبة ، والعلماء وأعضاء الكونجرس مد صلاحية جوازات سفرهم تلقائياً للسفر إلى الصين ، وكذلك السماح للسياح الأمريكيين بالشراء في حدود مائة دولار ١٩٦٩ من البضائع الصينية.

— وفي ٨ أغسطس ١٩٦٩ عبر وزير الخارجية الأمريكية "روجرز" عن رغبة الحكومة الأمريكية في استئناف محادثات وارسو التي كانت قد بدأت منذ

عام ١٩٥٥ بين الصين والولايات المتحدة.

– وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٩ قامت الحكومة الأمريكية بوقف الدوريات البحرية في مضيق تايوان. وكانت هذه الدوريات تجرى على قدم وساق منذ نشوب الحرب الكورية – أى منذ ١٩ عامًا.

المهم أن هذه السلسلة من الإشارات التي وجهتها حكومة نيكسون قد تزامنت مع الصدام العسكري بين الصين والإتحاد السوفييتي على طول الحدود الممتدة بين البلدين حتى كادت الدولتان الشيوعيتان أن تدخلا في حرب معلنة بينهما.

وفي بداية أكتوبر ١٩٦٩، أبرق "هنرى كيسنجر" إلى السفير الأمريكي في وارسو " والتر ستوسل" (Walter Stoessel) لإبلاغ السفير الصيني هناك بالرغبة الأمريكية في استئناف مباحثات وارسو. وتم بالفعل تقابل السفيرين في السفارة الصينية في العاصمة البولندية في ١١ ديسمبر ١٩٦٩، وتم الاتفاق على استئناف محادثات وارسو. ولأول مرة كان رد الصينيين إيجابيًا على استئناف الاتصالات الدبلوماسية مع الأمريكيين.

والجدير بالذكر، أن ذلك لم يكن حبًا في أمريكا بقدر ما كان خوفًا من التهديدات السوفييتية، حينما كانت المحادثات بين بكين وموسكو قد وصلت في شهر ديسمبر ١٩٦٩ إلى طريق مسدود، وشرعت موسكو في القيام بهجمات عسكرية جديدة اعتبرتها بكين بمثابة تهديد خطير بالحرب.

وعمد الرئيس "نيكسون" إلى التقدم خطوة جديدة - تمثلت في إشارة جديدة صادرة منه شخصيًا هذه المرة – إذ أرسل نيكسون إلى الكونجرس تقريرًا خاصا تحت عنوان " سياسة خارجية أمريكية جديدة للسبعينيات، وإستراتيجية جديدة نحو السلام". ولقد أحتوى الجزء الخاص بالصين من هذا التقرير إطراءً واضحًا، وتلميحات كثيرة منها : "..... إلى شعب عظيم مفعم بالحياة "،" .... الشعب الصيني الموهوب المثقف"، منوهًا في هذا التقرير عن روابط الصداقة التاريخية مع الشعب الصيني، وكان هذا الجزء قد تمت صياغته، وتصحيح

عباراته عدة مرات من طرف كيسنجر – مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي – كما تضمن تعهدًا من جانب الولايات المتحدة باتخاذ " كافة التدابير المستطاعة لتحسين علاقتنا مع بكين".[1] بيد أن نيكسون لم يستخدم في هذا التقرير الاسم الرسمي للصين أى " جمهورية الصين الشعبية" – تاركًا ذلك لمرحلة قادمة من نفس العام.

رد الفعل الصيني على الإشارات الأمريكية

لقد كان أول رد فعل صيني تجاه هذه الإشارات الأمريكية ، قد بدا واضحًا في الاحتفال بالعيد القومي الصيني الذي يقام في الأول من أكتوبر من كل عام، حيث ظهر الزعيم الصيني " ماو – تسي تونج" مبتسمًا على منصة الاحتفالات ، وقد بلغ من العمر ٧٧ عامًا ، وظهر بالقرب منه الكاتب الأمريكي المشهور إدجار سنو (Edgar Snow قد ذهب في أواسط الثلاثينيات إلى القيادة الشيوعية الصينية في منطقة " يينان" كمراسل عسكري ، والذي صار في ذلك الحين صديقًا للرئيس " ماوتسي – تونج ".؟ وقد فهم المسؤولون الأمريكيون أن الزعيم الصيني قد منح مباركته للتحول الصيني تجاه واشنطن . وقد تحدث " ماو" مع إدجار "سنو" في ذلك اللقاء في موضوعات شتى أهمها أن الخلافات الأيديولوجية الصينية – السوفييتية ، قد وصلت إلى درجة لم تعد منذ ذلك الوقت قابلة للتصالح .

ولم تغفل وسائل الإعلام الأمريكية هذه الإشارات من جانب الرئيس " ماو تسي – تونج" . ومنذ ذلك التاريخ تخمرت في ذهن الرئيس الأمريكي ، ومستشاره كيسنجر فكرة العمل في سرية تامة للوصول إلى أن تكون المحادثات مع بكين على أعلى مستوى بدلاً من عقدها في وارسو. وظهرت فرصة جديدة ، تمثلت في حضور عشرات من رؤساء الدول في نهاية أكتوبر ١٩٧٠ إلى نيويورك للإحتفال بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لإنشاء هيئة الأمم المتحدة . وكان من بين هؤلاء الرئيس الروماني "نيكولاء تشاوشيسكو" ، والرئيس

(1) Kalb, M.B., Kissenger, ses Origires, Sa Formation, Son ascersion, son apogee. P. 222.

الباكستاني "يحي خان". كذلك، كان هذان الرئيسان يوم ٢٤ أكتوبر من بين ٣١ رئيس دولة دعتهم الحكومة الأمريكية لعشاء رسمي في البيت الأبيض. وأنتهز الرئيس الأمريكي الفرصة للتحدث مع الرئيس الباكستاني، الذي كان قد عقد النية على زيارة الصين في وقت قريب جدًا، فطلب إليه الرئيس الأمريكي إبلاغ المقترحات الأمريكية للمسؤولين الصينيين، معربًا عن رغبته في القيام بزيارة للصين في وقت يجري تحديده في المستقبل القريب.

رحلة كيسنجر إلى الصين

في ذات مساء من ربيع عام ١٩٧١، سلم السفير الباكستاني في واشنطن "أغا هلالي" مذكرة مكتوبة بخط اليد، موجهة إلى كيسنجر – هذه الرسالة التاريخية، كانت عبارة عن مذكرة في مظروف مغلق بالشمع الأحمر، دون مقدمة تحوى عبارات التحية المعتادة، وبدون أى توقيع، وكانت هذه الرسالة في حقيقة الأمر، علامة هامة على طريق التبادل الدبلوماسي بين البلدين، تضمنت دعوة مبعوث أمريكي للقدوم إلى بكين من أجل إجراء لقاءات تتم على مستوى عالٍ مع المسؤولين الصينيين. واقترحت المذكرة اسمين "" روجرز أو كيسنجر ". وعلى الفور وقع اختيار الرئيس الأمريكي على كيسنجر.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ التنفيذ العملي للعمل في سرية تامة، والشروع في إجراء سلسلة من التحركات الرامية إلى تهيئة الشعب الأمريكي لعملية انفتاح تاريخي باتجاه الصين. وفي حين تكتم الأمريكيون كل خطوة في هذا السبيل، كان الصينيون يتعمدون الإعلان عن هذا الاتجاه.

ثم جاءت فرصة دفعت بعملية الاتصال خطوة نحو الأمام، وتمثل ذلك في وجود تصفية نهائية للمباراة الدولية لكرة الطاولة (البنج – بونج) في يوم ٦ إبريل عام ١٩٧١ في اليابان. وبادر المسؤولون عن الفريق الصيني بدعوة الفريق الأمريكي للقيام بجولة في ربوع الصين، سرعان ما تحولت هذه الإشارة الرياضية إلى إشارة سياسية في سبيل تحسين العلاقات الصينية – الأمريكية. واستفسر السفير الأمريكي في طوكيو من واشنطن عن إمكانية جعل جوازات

السفر الأمريكية صالحة لزيارة الصين ، وجاء الرد بسرعة مذهلة بالإيجاب .

وفي مساء نفس اليوم ، دعا نيكسون إلى عقد جلسة استثنائية لمجلس الأمن القومي ، وطلب إلى مستشاره كيسنجر عرض الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية الجديدة إزاء الصين ، غير أنه لم يتم إحاطة أى عضو من أعضاء مجلس الأمن القومي – سوى روجرز – بشأن الدعوة السرية التي قدمها الصينيون لإرسال مبعوث أمريكي على مستوى عالٍ ، كما لم يتم إحاطة أى عضو سواه بالرد الأمريكي المؤقت على هذا العرض – وإن كان أغلبية أعضاء مجلس الأمن القومي قد صفقوا بوجه عام استحسانا لمبادرة الرئيس نيكسون تجاه الصين فيما بعد .

ولقد عكف الرئيس نيكسون ومستشاره كيسنجر بمفردهما على قراءة المذكرات السرية التي ترد من بكين ، واستعرضا معا المسائل التي يحتمل إثارتها من خلال المفاوضات السرية المرتقبة مع الصين . وكانت أبرز هذه المسائل هى : سياسة الولايات المتحدة الجديدة إزاء تايوان ، وانضمام بكين إلى هيئة الأمم المتحدة ، وانسحاب الجنود الأمريكيين من الهند الصينية ، وكذلك درجة تطبيع العلاقات بين واشنطن وبكين .

ولقد تحدد موعد الزيارة الرسمية التي يقوم بها كيسنجر ، ليكون في الفترة من ٩ – ١١ يوليو ١٩٧١ . وقد أُحيطت هذه الزيارة بأعلى درجة من الكتمان . وغادر كيسنجر القاعدة الجوية في أندروز في أول يوليو . وسرت به هذه الرحلة – التي أُضيف إلى سريتها درجة عالية من التمويه – إلى الوصول في ٨ يوليو إلى العاصمة الباكستانية إسلام أباد. وكان الرئيس " يحى خان " على علم كامل بالمذكرات السرية المتبادلة بين واشنطن وبكين ، وكذلك بخط سير الرحلة ذاتها.

وفي إسلام أباد زار كيسنجر يحى خان زيارة مجاملة . ولقد كان من المعتقد لدى الأوساط السياسية أن وجهة هذه الرحلة هو باكستان الشرقية، حيث كانت الأزمة بين الرئيس يحي خان وبين حكام إقليم البنغال قد توترت إلى حد بعيد . ولم يدر بخلد أحد أن كيسنجر في طريقه إلى الصين . وفي إطار التمويه الكامل

لهذه الرحلة المثيرة ، كان الأمر يقتضي أن يعتذر كيسنجر – تحت دعوى الإرهاق في هذه الرحلة الطويلة – عن عشاء كان قد أقيم على شرفه ، وواقع الأمر ، أن هذا العشاء كان قد أُعد فعلاً بهدف إلغائه. كذلك إقتضى الأمر – إمعانًا أيضًا في التمويه – أن يذهب كيسنجر إلى استراحة في أعالي الجبال في منطقة ناتيا – جالي (Natia Gali) على إرتفاع ٢٨٠٠ مترًا للاستجمام السريع – بل إن الحكومة الباكستانية ، إمعانًا منها في التمويه ، أعلنت أن كيسنجر سوف يُضطر إلى مد أجل إقامته في هذه الاستراحة بسبب وعكة صحية ألمت به .

ولكي تستكمل المسرحية السياسية فصولها ، كان ينبغي أن يكون ذهاب كيسنجر إلى ناتيا – جالي – المدعى زيارته لها ، على مرأى ومسمع من الجميع ، لذلك اقتضى الأمر أن يكون هناك موكب ضخم من السيارات رافعًا العلمين الأمريكي والباكستاني وأن يسير هذا الموكب في شوارع إسلام أباد ، ومن هناك إلى الجبل . وقد أُوكل أمر هذه العملية إلى وكيل وزارة الخارجية الباكستانية ، الذي كان يشغل منصبين دبلوماسيين من قبل في بكين ، وأُنيطت به مهمة الإشراف على هذه الخدعة .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أنه تم استدعاء طبيب باكستاني لمعالجة كيسنجر بعد أن تأكد وكيل الخارجية الباكستاني من أن هذا الطبيب لا يستطيع التمييز بين شخصية كيسنجر ، وبين أى شخص أوروبي آخر . ومن مفارقات القدر ، أن الطبيب عالج بالفعل شخصًا من أعضاء الخدمة السرية الأمريكية الذي كان يعاني فعلاً من المرض الذي قيل أن كيسنجر يشكو منه .

وحقيقة الأمر ، أن كيسنجر لم يذهب مطلقًا إلى ناتيا – جالي بعد لقائه مع يحي خان بعد وصوله إلى إسلام أباد ، فكان قد انسحب إلى قصر الضيافة ، وظل هناك حتى حلول الساعة الثانية والنصف صباحًا حيث ذهب إلى وكيل الخارجية الباكستاني ، السلطان محمد خان ليذهبا سويًا إلى مطار إسلام أباد حيث يستقل طائرته من هناك إلى بكين . وقد وصل الاثنان بالفعل إلى مطار إسلام أباد بعد الثانية صباحًا بقليل ليستقل كيسنجر الطائرة الباكستانية التي دخلها قبل إقلاعها

مباشرة أربعة من كبار المسؤولين الصينيين كان قد أرسلهم " شو إين لاى " إلى هناك، وكانوا مقيمين في العاصمة الباكستانية في سرية تامة .

ووصلت الطائرة التي تقل كيسنجر إلى بكين في وقت الظهر تمامًا، وسرعان ما تم اللقاء بينه وبين رئيس الوزراء الصيني "شو إين لاى".

وانصبت المحادثات الأولية على ثلاثة مبادئ أساسية هى : اعتبار تايوان جزءًا من الصين ، وأن يتم تقرير مصيرها السياسي من جانب الصينيين أنفسهم . وكان ذلك يعد تنازلاً كبيرًا من جانب الولايات المتحدة – إذ كان يعنى قلب سياسة استمرت عليها الولايات المتحدة على مدى عشرين عامًا كاملاً ، كانت تعامل فيها تايوان كبلد مستقل. أما المبدأ الثاني في تلك المحادثات ، فكان ينصب على مستقبل فيتنام الجنوبية ، بأن يتم تقرير مصيرها السياسي من جانب الطرفين الفيتناميين المتنازعين بعد وقف إطلاق النار. وكان المبدأ الثالث والأخير ، ينصب على أن تجرى تسوية المسائل الآسيوية بالطرق السلمية. وكان هذا المبدأ لا يتعلق فقط بتقسيم كوريا ، ولكنه كان يتعلق أيضًا بالتوتر على طول الحدود الصينية – السوفييتية . وإذن ، فقد كانت تايوان مسألة حيوية ، وهامة بالنسبة للولايات المتحدة – في حين كان النزاع الصينى – السوفييتي ، مسألة حيوية وهامة بالنسبة للطرفين الصيني ، والأمريكي على حدٍ سواء .

وبينما كانت هذه المحادثات تجري على قدم وساق ، قدم شو إين – لاى الدعوة الرسمية للرئيس نيكسون لزيارة الصين . وقد قبل كيسنجر الدعوة نيابة عن الرئيس نيكسون ، ولكنه أوضح أن الزيارة ينبغى أن تتم قبل شهر مايو ١٩٧٢ أخذًا في الاعتبار أن الرئيس الأمريكي نفسه كان قد أصدر تعليماته بأن رحلة هامة كهذه بالنسبة للسلم العالمي من ناحية، وبالنسبة لمستقبل العلاقات الصينية – الأمريكية من ناحية أخرى لا ينبغي الخلط بينها وبين الحملة الانتخابية الرئاسية لعام ١٩٧٢. وعلى أية حالٍ، فقد صدر البيان المشترك في ختام المحادثات على النحو الآتي ، والذي أذيع في وقتٍ واحدٍ في كلٍ من بكين وواشنطن :

" لقد أجريت محادثات بين رئيس الوزراء شو إين – لاى ، والدكتور هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي في بكين في الفترة من ٩ – ١١ يوليو ١٩٧١ وعلمًا بالرغبة التي عبر عنها الرئيس نيكسون في زيارة الصين الشعبية ، فإن رئيس الوزراء شو إين – لاى قدم باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية دعوة للرئيس نيكسون لزيارة الصين في وقت مناسب قبل حلول شهر مايو . ولقد قبل الرئيس نيكسون بغبطة هذه الدعوة . إن الاجتماع الذي تم بين حكام الصين والولايات المتحدة يهدف إلى تطبيع العلاقات بين البلدين ، وأن يسمح أيضًا بتبادل وجهات النظر التي تهم الجانبين. (١)

أصداء البيان المشترك

واقع الأمر ، أن العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام الحكم في تايوان كانت أدق المسائل المطروحة بالنسبة لبكين وواشنطن على حدٍ سواء. ذلك لأن التنازلات التي قدمها كيسنجر إلى شو إين – لاى حين أقر أن تايوان تشكل جزءًا من الصين – قد ذهبت هذه التنازلات – إلى الاقتراب من حل هذه المسألة الحادة، ولكنها لم تصل في ذات الوقت إلى حد التعهد الأمريكي بذلك ، فقد كان على الولايات المتحدة أن تتخذ إجراءين في هذا الصدد :

أولهما ، البدء في تخفيض حجم الحامية الأمريكية التي كانت تبلغ ٩٠٠٠ جندي أمريكي في تايوان.

أما الإجراء الثاني، فكان يتعلق بالسياسة الأمريكية بالنسبة لتمثيل الصين في الأمم المتحدة .

فلقد ظلت تايوان على مدى اثنين وعشرين عامًا ، تعتبر هى الصين في الأمم المتحدة بفضل جهود الولايات المتحدة ومساندتها الواضحة لها . ونظرًا لأن كيسنجر قد أقر بأن تايوان ما هى إلا إحدى المقاطعات الصينية ، فإن هذا الزعم يكون قد تقوض من أساسه ، لذلك فإن هذا التبدل في الموقف الأمريكي تجاه تايوان يتطلب انتهاج الولايات المتحدة لسياسة جديدة . والحقيقة ، هى أن

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 242

الولايات المتحدة صارت تميل منذ خريف عام ١٩٧٠ نحو وجود نظامين للصين ، وبالتالي أن يمثل الصين في الأمم المتحدة نظامان . وها هى الولايات المتحدة تجد نفسها فجأة – منذ أغسطس ١٩٧١ وقد أعلنت على لسان وزير خارجيتها، سياسة خارجية جديدة. إذ أُعلن أنه منذ ذلك التاريخ فصاعدًا أن الولايات المتحدة سوف تساند دخول بكين إلى الأمم المتحدة ، وكذلك مطالبتها بمقعد الصين في مجلس الأمن ، ولكنها سوف تعارض في الوقت ذاته أية محاولة ترمي إلى حرمان تايوان من انضمامها للأمم المتحدة أو من مقعدها في الجمعية العامة .

وفي بكين أوضح كيسنجر لشو إين – لاى بصورة إجمالية السياسة الأمريكية الجديدة ، وأحاطه ضمنًا بأن الولايات المتحدة سوف تحاول الحفاظ لتايوان على مقعدها في الأمم المتحدة ، على أن تناضل بكين لمعارضة هذا الجهد ، والتغلب عليه إن تيسر لها ذلك ، وأن على الجانبين أن يقبلا ما تحكم به الأمم المتحدة حينذاك. (١)

رحلة الرئيس نيكسون إلى الصين

لقد بدأت هذه الرحلة التاريخية في ٥ أكتوبر ١٩٧١ في حين كانت هيئة الأمم المتحدة تستعد للتصويت على انضمام الصين الشعبية إليها . وكان على كيسنجر وهو بصدد الإعداد لهذه الرحلة أن يتحاشى ما يمكن أن يعكر صفو إتمامها بنجاح على عدة أصعدة ، منها العلاقات مع اليابان ، فلم يفت شو إن – لاى أثناء محادثاته مع كيسنجر أن يعبر عن مخاوفه من احتمال تصاعد الروح العسكرية اليابانية . وكان الرئيس نيكسون قد عمد في حركة مفاجئة في ١٥ أغسطس ١٩٧١ إلى تخفيض قيمة الدولار وهو يعلم علم اليقين ما يحدثه هذا التخفيض من آثار مدمرة على الين الياباني .

الأمر الثاني ، هو أن كيسنجر كان قد عمد بعد زيارته التمهيدية الأولى للصين في ١٦ يوليو الإشارة إلى أن الولايات المتحدة لا تنوي بانفتاحها على الصين

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 244

المناورة بذلك ضد الروس ، فهناك نواحى أخرى للضغط على الإتحاد السوفييتي، من أمثال توقع قيام الصين بالمساهمة في وضع حدٍ للحرب الدائرة في فيتنام ، وكذلك تشجيع الصينيين على التعاون في مجال السلاح النووي. ولم تنقض سوى أسابيع قليله على هذا التصريح حتى بادر نيكسون بنفسه بكشف النقاب في ٤ أغسطس عن أنه أثناء لقاءاته السنوية مع وزير الخارجية السوفييتي في عام ١٩٧٠ حين كان في زيارة لواشنطن تم الاتفاق على عقد اجتماع على أعلى مستوى ، وأنه لا جدوى من هذا الاجتماع إلا إذا تم إدراج مسألة ذات ثقل خاص لدى الأمريكيين على جدول أعمال هذا الاجتماع ، وأن هذه المسألة لا يمكن معالجتها بأساليب أخرى. ثم اقترح الرئيس نيكسون أن يكون هناك موقف أمريكي أكثر تعاونًا بالنسبة لبرلين من جهة ، ومسألة نزع السلاح النووي من جهة أخرى حتى تتوافر مبررات عقد هذه القمة .

وحقيقة الأمر ، أن هذا " التاكتيك" الأمريكي كان ناجحًا إلى أبعد الحدود. ففى ٢٩ سبتمبر وأثناء اجتماع نيكسون وجروميكو ، عبر الرئيس الأمريكي عن إحراز تقدم على صعيد عدد من المشكلات بالنسبة لكلا البلدين ، وعبر عن أمله في أن يتم عقد قمة موسكو المرتقبة . وفي ٣٠ سبتمبر تمكن جروميكو ، وروجرز من توقيع اتفاقية لتهيئة المناخ المناسب لمزيد من تحسن العلاقات السوفييتية – الأمريكية .

وكان أحد هذين الاتفاقين ينصب على تحسين الخط التليفوني الساخن بين موسكو وواشنطن. وكانت الاتفاقية الأخرى تتعلق بتوفير الطرق الفنية لمنع وقوع حوادث نووية . وما لبث الأمر، حتى أمكن في ١٢ أكتوبر ١٩٧١ إحراز تقدم هام في مسألة برلين فلقد توصل الشرق والغرب إلى اتفاق حول تسوية مبدئية للمشكلة الناجمة عن وضع هذه المدينة .

وفي ١٢ أكتوبر ١٩٧١ أعلن الرئيس نيكسون عن قبوله الدعوة الموجهة إليه لزيارة موسكو خلال الجزء الثاني من شهر مايو ١٩٧٢. لذلك يمكن القول بأن زيارة نيكسون لبكين ، قد عملت دون أدنى شك على جعل موسكو أكثر تعاونًا بالنسبة لعلاقاتها مع واشنطن.

مؤتمر القمة الصينية – الأمريكية لعام ١٩٧٢

لقد تمت زيارة الرئيس نيكسون للصين في ٢١ فبراير ١٩٧٢، واستمرت هذه المقابلة التاريخية بين الرئيس الأمريكي، والزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" أكثر قليلاً من ساعة من الزمن، تم الحديث خلالها بصفة إجمالية عن تايوان، والهند الصينية، والصراع ضد الهيمنة السوفييتية، وأهمية تطوير العلاقات بين الصين والولايات المتحدة.

على أن المباحثات المعمقة بعد ذلك، كانت تتم بين الرئيس نيكسون وشو اين – لاى في جلسات محددة، ابتداء من يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢، حيث بدأ نيكسون وكيسنجر، وشو اين – لاى محادثات سرية في قاعة الشعب الكبرى. وكانت أولى هذه الجلسات المعمقة قد استغرقت نحو أربعة ساعات كاملة. ومما تجدر الإشارة إليه أن وجهات النظر لم تكن متطابقة في كثير من المسائل حتى غدا إصدار بيان مشترك من الأمور شديدة الصعوبة.

غير أن كيسنجر كان قد فطن إلى أن الصينيين أكثر احتياجًا من الأمريكيين لصدور مثل هذا البيان المشترك لسببين: أولهما، لتبرير زيارة الرئيس نيكسون لبلادهم، وثانيهما، لكى يقدموا أمام أعين الروس نموذجًا حيًا للتعاون الصيني – الأمريكي. لذلك أيقن كيسنجر أن على الصينيين أن يتقدموا بالخطوة الأولى للخروج من مأزق البيان المشترك. وفي النهاية اهتدى كل من كيسنجر، وشو اين – لاى إلى الحل المنشود. وقد تمثل ذلك، في الاتفاق على أن يتضمن البيان المشترك أقسامًا منفصلة تمامًا: قسم منها يعبر عن وجهة النظر الأمريكية بالنسبة لمسألة من المسائل مثل فيتنام، وقسم آخر يعبر عن وجهة النظر الصينية.

وكانت الفقرة الصينية المقدمة للبيان المشترك كما يلي :

" إن مشكلة تايوان هى العقبة الرئيسية في سبيل تطبيع العلاقات بين الصين والولايات المتحدة، إن حكومة الصين الشعبية هى الحكومة الشرعية الوحيدة للصين – أما تايوان فهى إحدى مقاطعات الصين عادت إلى وطنها الأم منذ وقت طويل. وتحرير تايوان هو أمر داخلي بالنسبة للصين، وليس لأى بلد حق التدخل فيه، ويتعين سحب القوات والمنشآت الأمريكية من تايوان ". " إن

الحكومة الصينية تعترض بشدة على كافة الأنشطة الرامية لإنشاء صين من ناحية، وتايوان من ناحية ، وعلى وجود صين واحدة بحكومتين ، وعلى دولتين للصين ، وعلى أى وضع يقول بأن تايوان مطروحة للتسوية ".

أما النص الأمريكي المقدم للبيان المشترك فكان كما يلي :

" إن الولايات المتحدة تقرر أن كافة الصينيين الموجودين على شاطئ مضيق تايوان يشكلون جزءًا من الصين ، وأن حكومة الولايات المتحدة لا تتشكك في هذا الوضع ، وتؤكد اهتمامها بوجود تسوية سلمية لمشكلة تايوان من جانب الصينيين أنفسهم . ومن هذا التصور ، فإنها تؤكد على الهدف النهائي الذي يرمي إلى سحب كافة القوات والمنشآت العسكرية من تايوان – وإلى أن يتم ذلك ، فإنها سوف تخفض بصفة تدريجية مالها من قوات ومنشآت عسكرية في تايوان بشرط أن يقل التوتر في المنطقة . (١)

ولقد تم الاتفاق بين الجانبين على أن يتضمن البيان المشترك ما صيغته النهائية هاتين الفقرتين اللتين تمت صياغتهما بدقة ومهارة لتقريب وجهات النظر من ناحية ، ويمكن لكل من الطرفين أن يفسرها بما يتفق مع وجهة نظره من ناحية أخرى – ذلك أن الصينيين يمكنهم التشديد على أن تايوان إن هى "إلا" مسألة داخلية لا ينبغى للولايات المتحدة أن تتدخل فيها . وفضلاً عن ذلك ، فإن الولايات المتحدة قد وعدت بسحب كافة ما لديها من قوات ومنشآت عسكرية. ومن جهة أخرى ، فإنه يكون باستطاعة الولايات المتحدة التشديد على أنها سوف لا تسحب كافة (Totalité) قواتها ومنشآتها إلا إذا تم حل مشكلة تايوان وتسويتها بطريقة سلمية – أو بمعنى آخر إلا إذا امتنعت بكين عن استعمال القوة كوسيلة لتحرير تايوان . وهذا ما تم التعبير عنه في الفقرة الأمريكية من البيان القائلة :" بشرط أن يقل التوتر في المنطقة "، أو بمعنى آخر بشرط أن تنتهى الحرب الفيتنامية التي كانت دائرة حينذاك. وبذلك تكون الولايات المتحدة قد أوعزت من ثنايا الفقرة التي قدمتها أنه إذا أراد الصينيون

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 270

الإسراع في الانسحاب الإمريكي من تايوان فما عليهم إلا أن يضغطوا على حليفتهم "هانوى" لقبول حل وسط بالنسبة للقضية الفيتنامية.

وقد تم الاتفاق بين الرئيس نيكسون ، وشو إن – لاى ، على إعلان البيان المشترك يوم الأحد ٢٧ فبراير في شنغهاى . ويهمنا الآن أن نرى مدى انعكاسات هذا البيان المشترك خاصة على الصعيد الأسيوى .

ففي "تايبية" عاصمة تايوان عم حكومة "تشيانج كاى شيك" حداد صامت. ولكن وسائل الإعلام التايوانية وصحافتها خرجت بمقالات شديدة اللهجة ، تستنكر بيان شنغهاى، وتعلن أن شعوب الباسفيك قد فقدت الثقة في وعود حليفتها واشنطن . أما في موسكو ، فقد شعرت الحكومية السوفييتية بالمرارة ، ولكنها لزمت جانب التحفظ على الصعيد الرسمي – وإن كانت الصحافة السوفييتية قد ألمحت إلى أن زيارة نيكسون للصين ليست إلا تحركًا مناهضًا للسوفييت. (١)

أما في طوكيو ، فإن حكومة " ساتو" سقطت ، وجاءت حكومة "تاناكا" بعد سبعة شهور ، وأعادت العلاقات الدبلوماسية مع الصين. وأما " هانوى"، فقد لاذت بالصمت، واتخذت سياسة فيتنامية أكثر استقلالا. وعلى أية حالٍ ، فقد كان هناك شعور يسود العالم أجمع بأن هذه المرحلة قد أوجدت وضعًا دبلوماسيًا عالميًا جديدًا ، وفتحت أبواب الصين على العالم.

وينبغي أن نشير إلى نقطة هامة، وهى أن تحسين العلاقات الصينية – الأمريكية قد انعكس أثره بشكل واضح على الأمم المتحدة في مسألة دعم دخول الصين عضوًا في الأمم المتحدة ، بعد سنوات من الاعتراض على مثل هذا التحرك. فقد تجاوز حماس الوفود – بعد علمهم بهذا الدعم – الهدف الأمريكي الرامى إلى الاقتصار على انضمام بكين في حين بقاء تايوان عضوًا في تلك المنظمة.

ففي جلسة عاطفية صاخبة في أكتوبر ١٩٧١ رفضت الجمعية العامة للأمم

---

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 274

المتحدة قرارًا أمريكيًا يقضى بوجود ممثلين اثنين للصين ، وصدر بدلاً عن ذلك قرار من الجمعية العامة بأغلبية ٧٦ صوتًا ضد ٣٥ يسمح لبكين بالانضمام للمنظمة وبطرد تايوان منها في نفس الوقت . كذلك ، فإن مقعد "الوطنيين" في مجلس الأمن قد آل إلى نظام الحكم في بكين – أى بعد ٢٢ سنة من انتقال السلطة إلى أيدي ذلك النظام.(١)

الجذور التاريخية للعلاقات الصينية – الروسية

تعتبر روسيا أقرب إلى أن تكون دولة من دول غرب آسيا بأكثر من كونها إحدى دول شرق أوروبا. وحقيقة الأمر، أن روسيا حتى فى عصرها الحديث لم تتخل عن سياستها الشرقية التي كانت تتبعها منذ زمن القيصرية. ولقد حقق لها اندفاعها نحو الشرق أراضي واسعة ، سوف تكون على نحو ما سنرى عائقًا في سبيل استمرار العلاقة الممتازة بين الصين وروسيا حتى بعد أن اعتنقت الصين المذهب الشيوعي .

ونلاحظ أن الاندفاعة السوفييتية تتجه رويدًا رويدًا نحو أواسط آسيا الشرقية لتحتل أراضي هى في أساسها من أراضي الصين، وينصب حديثنا هنا على إقليمي سينكيانج ، ومنغوليا الخارجيه اللذين يجب ضم المنطقة المسماة كوكو – نور إليهما . فهذه المناطق يقطنها سكان يتجاوز عددهم نحو أربعين مليونًا من البشر.

فبالنسبة لإقليم سينكيانج الذي أصبح يطلق عليه أسم " تركستان الصينية"، أو " تركستان الشرقية ، فهذا الإقليم عبارة عن هضبة صحراوية مرتفعة قاحلة. ولكن الجزء الغربي منها يرويه نهر تاريم ، وهناك تمتد مساحات مترامية خصبة ومراعي هامة ، فضلاً عن احتياطيات معدنية ضخمة ، ولقد عمل الإتحاد السوفييتي بطريقة منظمة على إخضاع "سينكيانج إلى أن استعمرها بكاملها عام ١٩٣٠ . وبعد أن بعث إليها بعدد من قواته ، وعدد من موظفيه ، أرسل إليها أفواجًا متتالية قوام كل منها عدة آلاف من عنصر القزق ، كذلك

(1) Link, A. Catton. W., American Epoch, A History of the Unitet States, Since 1900. Vol.111 P. 352.

عمل الإتحاد السوفييتي على بناء خط سكك حديد تركستان – سيبيريا لربط تركستان الصينية بطشقند في تركستان الروسية .

وعلى الرغم من جذور العلاقات بين الصين وروسيا ، أى بين أباطرة الصين، وقياصرة روسيا في القرن السابع عشر ، فلم تكن علاقات مودة بحالٍ من الأحوال ، وظل تاريخ هاتين الأمتين المتجاورتين منذ ذلك الحين ، وحتى أوائل القرن العشرين يمثل تاريخ إمبراطوريتين في حالةٍ من التصادم المستمر. لذلك ، فإنه حينما أعلن الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" في منتصف عام ١٩٤٩ بأن الصين سوف ينحاز إلى " جانب واحد " – باتجاه الإتحاد السوفييتي ، ثم حين وقعت بعد ذلك معاهدات مع روسيا للتحالف العسكري عام ١٩٥٠ تأكيدًا منهما على وحدة النظر إلى الأمور ، ووحدة المصالح والأهداف ، فإن ذلك الإعلان لم يكن متمشيًا مع طبائع الأمور متجاهلاً الحقائق التاريخية .

ولربما كان من المستحسن طرح هذا الموضوع مقسمًا إلى قسمين : أولهما ، تحت عنوان التحالف الصيني – السوفييتي ، على أن يكون القسم الثاني بعنوان " الصراع الصيني – السوفييتي ، نظرًا لأن هذا التحول قد تم بالفعل في أقل من عشر سنوات .

(١) مرحلة التحالف الصيني – السوفييتي

لقد تم توقيع هذا التحالف في ١٤ فبراير ١٩٥٠ حين كان الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" في موسكو للمشاركة في الاحتفال بمرور سبعين عامًا على ميلاد الزعيم السوفييتي " ستالين" . وظل كل من الزعيمين منهمكين في التفاوض لإبرام معاهدة ترمي إلى إستبدال المعاهدة القديمة التي كان قد أبرمها الإتحاد السوفييتي مع "تشيانج – كاى شيك " على عجل يوم تسليم اليابان في الحرب العالمية الثانية – أما المعاهدة الجديدة التي وقعها كل من " فيشينسكي" عن الإتحاد السوفييتي ، و"تشو إين – لاى" عن الجانب الصيني ، فكان نصها كما يلي : " إنها معاهدة تحالف وصداقة ، وتعاون متبادل مدتها ٣٠ عامًا قابلة للمد خمسة سنوات – إلا في حالة طلب فسخها قبل موعد انتهائها بسنة "، وقد

تعهد الطرفان في ستة مواد منها ، باتخاذ كافة التدابير التي من شأنها تجنب عودة اليابان إلى القيام بأعمال عدوانية . " أو أية دولة أخرى تنضم إلى اليابان بصفة مباشرة أو غير مباشرة لهدف عدواني ". وفي هذه الحالة ، يهب الطرف الأول لمساعدة الطرف الثاني عسكريًا – بهدف التعاون لإرساء السلام في العالم ، والإسراع في إبرام معاهدة سلام مع اليابان بصفة مشتركة مع كافة الدول المعنية .

وكذلك نصت المعاهدة على عدم التحالف أو الدخول طرفًا في أى تحالف موجه ضد الطرف الآخر من المعاهدة ، وأن يجري التشاور بين طرفي المعاهدة بشأن المشكلات الكبرى التي تتعلق بحفظ السلام في العالم ، واحترام سيادة وتكامل الطرف الآخر على أساسٍ من المساواة الكاملة .

غير أن النجاح الأكبر الذي حققه ماو تسى – تونج كان يكمن في الملحق الذي أرفق بتلك المعاهدة. وكان ملحقًا وحيدًا يتعلق بتسوية الوضع بالنسبة لخط سكك حديد " تشانج – تشوان" ، الأمر الذي يعني ربط مصير منطقتي جنوب منشوريا وشرقي الصين معًا ، وكذلك مصير ميناء بورت آرثر ، ودايرين. ففى مقدمة هذه الوثيقة ، لم يتردد "ماوتسى – تونج" في الإعلان عن أن الأوضاع قد تغيرت تغيرًا جذريًا منذ عام ١٩٤٥ . فهاهى اليابان قد تمت هزيمتها ، وهاهو الكومنتانج لم يعد قائمًا ،وهاهى ذي جمهورية صينية شعبية صديقة للإتحاد السوفييتي قد وُلدت من جديد . . . . وأن الإتحاد السوفييتي يتعهد بالتنازل للصين عن كل حقوق الملكية عن الخط الحديدي بمجرد توقيع معاهدة سلام مع اليابان "، " وأن ذلك لن يتعدى في كافة الأحوال ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ . كذلك قبل الإتحاد السوفييتي بنفس الشروط ولنفس المهلة والتاريخ انسحاب قواته من "بورت آرثر". وأن يُسلم للصين كافة المؤسسات المتعلقة بالميناء، أما بالنسبة لمصير ميناء "دايرين "، فلم تتحدد تمامًا ، ولكن تم النَص على أن تكون إدارة الميناء بكاملها من الصينيين.[1]

(1) Gnousset, Op.cit. P.427

لقد كان هذا التحالف الذي جسدته معاهدة ١٩٥٠ موجهًا في أساسه ضد الولايات المتحدة واليابان ، ذلك أن حجر الزاوية في السياسة الخارجية الصينية ظل خلال السنوات العشرة التالية لعام ١٩٤٩ يتمثل في تحالفها مع الإتحاد السوفييتي. ولم يقتصر هذا التحالف على المجال العسكري ، وإنما كان يشمل العلاقات الاقتصادية ، والعلمية، والتعليمية، وعددًا آخر من المجالات المتشعبة. ولقد كان من أبرز العوامل التي دفعت قادة بكين في تحالفهم مع السوفييت إلى توثيق روابطهم معهم نظرة أيديولوجية مشتركة . فقد كان الطرفان يعتقدان أن لهما عدوًا مشتركًا ، كما أن ما لديهما من قيم ، ربما تعمل على توحيد البلدين ويحول دون قيام أى تعارض بين المصالح القومية لهما .

على أن هذا التحالف مر بتجربة قاسية ، ولما لم ينقض عام كامل على إبرامه حيث نشبت الحرب الكورية ، ومعلوم أن هذه الحرب بدأت من جانب كوريا الشمالية بموافقة "ستالين " الذي كان يظن أن هذا الهجوم سوف يتمخض عن حدوث ثورة في كوريا الجنوبية ، وأن الولايات المتحدة سوف لا تدخل طرفًا في هذه الحرب . ولقد تم إبلاغ خطة هذه الحرب إلى الزعيم "ماوتسي – تونج" الذي لم يكن في حسبانه تدخل الصين في هذه الحرب .

ولكن الأمور تطورت ، حيث تدخلت قوات الأمم المتحدة ومعها قوات الولايات المتحدة في كوريا ، وصار موقف كوريا الشمالية متداعيًا ، كما أن الولايات المتحدة تدخلت من جديد في تايوان . لذلك وجدت الصين نفسها مهددة – ليس فقط من ناحية كوريا الشمالية التي تمثل نطاقًا عازلاً بالنسبة للصين كما تمت الإشارة ، وإنما وجدت نفسها مهددة أيضًا في عقر دارها بالخطر . لذلك بادرت بإرسال موجات من قواتها إلى كوريا بدعوى أنهم من " المتطوعين " – الأمر الذي انتقده "خروشوف" فيما بعد ، حينما أشار إلى أن هذا الأسلوب المتعالي الذي اتبعه سلفه "ستالين" في العلاقات مع الصين قد أساء إلى هذه العلاقة ، وأنه ربما لو لم يكن ستالين قد وافته المنية عام ١٩٥٣ ، لكان الشقاق قد أصاب العلاقة بالضرر في مرحلة مبكرة عما تمت فيه .

غير أن بذور الشك قد وُضعت حينما طلبت موسكو مقابلاً للدعم العسكري للصين ، وتمثل ذلك في طلبهم حقوقًا خاصة في خطوط سكك حديد "تشانجشون" (Changchun)، وفي ميناء "بورت آرثر" ، وفي "منشوريا ، وسينكيانج". ونظرًا لأن الحرب الكورية كانت لا تزال تدور رحاها على قدم وساق ، فإن الصينيين كانوا يعتقدون أن مد أجل امتيازات الروس في بورت آرثر، وما طلبته موسكو هى أمور لازمة للدفاع عن الصين .

غير أنه من العجيب ، أن زيادة العلاقات في المجالين السياسي والاقتصادي كان مدعاة لحدوث إحتكاكات بين البلدين . فالروس ، كانت لديهم الرغبة في تقديم مساعدات اقتصادية كبرى –لكنهم اشترطوا في مقابل ذلك قيام الصين بسداد قيمة هذه المعونات . فأثناء الزيارة التي قام بها " ماو تسي –تونج" لموسكو في أوائل ١٩٥٠ وافق الروس على منح الصين مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كسلفة للتنمية يجري تقديمها على خمس سنوات ،ويتم سدادها خلال العشرة سنوات التالية ، بسعر فائدة منخفضة هى ١٪ . وفي عام ١٩٥٤ قدم الروس معونة أخرى قيمتها ١٣٠ مليون دولار ، ولكن هاتين السلفتين كانتا الوحيدتين طويلتى الأمد اللتين قدمها السوفييت للصين ، وتم الإعلان عنهما على مدار عشر سنوات كاملة . والأكثر من ذلك ، كان إصرار الروس على دفع قيمة الإمدادات العسكرية التي يتلقاها الصينيون أثناء الحرب الكورية.

على أن السوفييت كانوا ينظرون إلى دعمهم المالي للصين على أنه معونات سخية –ذلك أنه لم يسبق لهم التعود على منح مساعدات اقتصادية على نطاق واسع إلى أى نظام حكم ، سواء كان ذلك النظام شيوعيًا أم غير شيوعي. أما الصينيون ، فقد كانت نظرتهم للدعم المالي السوفييتي على أنه ضئيل للغاية ، خصوصًا ، وأن السوفييت طلبوا من الصينيين ليس فقط دفع قيمة التجهيزات الصناعية ، ولكن أيضًا دفع قيمة المساعدات العسكرية لهم مما جعل الصينيين يتحملون في حقيقة الأمر عبء الحرب الكورية وحدهم .

غير أن انتهاء الحرب الكورية من ناحية ، ووفاة "ستالين" من ناحية أخرى ،

عمل على إحداث تغييرات هامة في العلاقات بين البلدين. وكان أبرز هذه التغيرات ، إتجاه الزعماء الجدد في موسكو عن عمد إلى جعل العلاقات بين البلدين أكثر مساواة ، العمل على إزالة ما علق بها من شوائب . فقد عملت الزيارة التي قام بها " خروشوف" و " بولجانين" عام ١٩٥٤ للصين على إيجاد فترة تتسم بالود المتبادل. وقام السوفييت بمنح فرص جديدة للتنمية في الصين ، ثم عمد القادة السوفييت أيضًا إلى إنهاء الحقوق الخاصة التي حصلوا عليها من الصين في عام ١٩٥٠ ، والأكثر أهمية من كل ذلك ، هو أنهم أظهروا احترامهم للكبرياء الصيني —بل إنه في عام ١٩٥٥ بلغ الحد ببعض القادة السوفييت بمن فيهم "مولوتوف" إلى الإشارة إلى أن الكتلة الشيوعية يتزعمها كل من الإتحاد السوفييتي والصين .

(٢) مرحلة الصراع الصيني –السوفييتي:

على الرغم من أن بوادر التوتر في العلاقات بين الصين والإتحاد السوفييتي بدأت في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين —إلا أن الصراع المكشوف بينهما لم يتفاعل بصورة جدية إلا في النصف الثاني من الخمسينيات . على أن هناك عدة عوامل أسهمت في تفاقم هذه العلاقات ، كان أهمها مسألة الأمن العسكري الذي مر في حقيقة الأمر بمراحل ثلاثة هى : الفترة من ١٩٥٧ —١٩٥٩ ، حينما أسفر توتر العلاقات عن تولد الشك بين الطرفين ، ثم الفترة من ١٩٦٢ — ١٩٦٣ ، حينما صار التحالف الصيني السوفييتي مفرغًا تمامًا من مضمونه ، وأخيرًا ، الفترة من ١٩٦٧ —١٩٦٩ ، حينما تحولت المواجهة بين البلدين إلى مواجهه عسكرية. وسوف نرى ، كما سيأتى بعد ما أحدثه خطاب " خروشوف" في هذا السياق .

خطاب خروشوف

يرى الصينيون أن بداية الصراع الحقيقى حدث حينما ألقى خروشوف خطابه الشهير في عام ١٩٥٦ متضمنًا الهجوم على ستالين . وفي رأيهم ، أن خروشوف كان ينبغي عليه أن يستشيرهم ، أو أن يفصح لهم عن نيته قبل إلقاء هذا الخطاب،

في حين أن الروس كانوا يعتقدون بأن هجومهم على "ستالين" هو أمر يخصهم وحدهم . ويذهب الصينيون إلى القول بأن هذا الخطاب – كانت له أصداء واسعة بالنسبة للصين ، وبالنسبة للكتلة الشيوعية بأسرها . وأشد ما أصاب الصينيين بالانزعاج من خطاب خروشوف هو تأكيده على حتمية الحرب ، وإمكان التحول إلى الاشتراكية بغير عنف ، وترويجه لفكرة التعايش السلمي (Co-existence) Peaceful واعتبار كل هذه المفاهيم الجديدة بمثابة أساس للسياسة السوفييتية.

فلقد كان النموذج الثوري حسب مفهوم الزعيم الصيني " ماو تسى – تونج" يعتمد على العنف . وفضلاً عن ذلك ، فإن هذه الأفكار التي طرحها خروشوف كانت تتضمن الرغبة في التوصل إلى حلٍ توفيقي مع الدول الرأسمالية، وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة بكيفية جعلت بكين تستشعر أن وضعها سوف يصيبه الوهن في مواجهتها مع الولايات المتحدة ، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لموضوع تايوان. على أنه لا ينبغي أن نغفل أثر الاضطرابات التي حدثت في عام ١٩٥٦ في بولندا أول الأمر ، ثم بعد ذلك في المجر في السيكولوجية الصينية – إذ كان رد الفعل الصيني تجاه هذه الأحداث أن أدخلوا أنفسهم بطريقة مباشرة في شؤون شرق أوروبا وعملوا على بلورة فكر شيوعي صيني في مواجهة الأحداث السياسية التي تواجه العالم الشيوعي .

وإذا ما استعرضنا أهم الأحداث التي تجلي فيها الخلاف بين البلدين ، فيمكن الإشارة إلى أن خروشوف كان قد عقد العزم على تحقيق توازن إستراتيجي مع الولايات المتحدة من جهة ، وعلى تقليل مخاطر نشوب حرب نووية من جهة أخرى – الأمر الذي أملى عليه تدبير سياسة سوفيتية جديدة صوب الولايات المتحدة . ولقد أسفرت جهود خروشوف عن سياسة التعايش السلمي مع المعسكر الغربي ، التي تطورت بدورها لما سمى ": بالانفراج " (Détente) والذي بلغ ذروته بزيارته إلى واشنطن عام ١٩٥٩.

ولقد كانت الصين تنظر بعين القلق إلى هذا الانفراج باعتبار أنه سوف يلحق

الضرر بالمصالح الصينية في منطقة "تايوان" ، وغيرها . ومن جهة أخرى ، كان الإتحاد السوفييتي ، باعتباره قوة نووية كبرى يخشى من احتمال أن تتفجر الصراعات العسكرية المحلية ، وتتحول إلى مواجهة بين القوى الأعظم. لكن الصينيين الذين لم يرقهم استمرار الأوضاع على ما هي عليه، كانوا يرون أن الصراعات المسلحة المحلية أمر لازم لا غنى عنه بالنسبة لنجاح الثورات . وكانوا يرون أن استعادتهم لجزيرة تايوان يستدعي تضافر قوى الصين ، والإتحاد السوفييتي معًا لمباشرة الضغط المنشود على الولايات المتحدة .

مأزق المعونة النووية السوفييتية للصين

بعد وفاة " ستالين" ، أيقن "ماوتسى – تونج" أنه لابد للصين من بناء قوة نووية لها. وبعد أن أعطى " ماوتسى – تونج" إشارة البدء لما أسماه " بالقفزة الكبرى إلى الأمام" في عام ١٩٥٨ قال محذرًا :" إنه يمكننا أن ننتج قنابل ذرية في فترة لا تتجاوز العشر سنوات ". واعتقدت الدول الغربية أن ذلك كان من قبيل التصريحات الدعائية ، لذا لم تأخذها مأخذ الجد .

ولكن بعد خمسة سنوات أخرى ، في عام ١٩٦٣ أعلن أحد القادة العسكريين الصينيين، قوله :" إن رئيس الوزراء السوفيتي نيكيتا – خروشوف" ادعى يومًا من الأيام أن الأسلحة الذرية مكلفة جدًا بحيث لو فكرت الصين في إنتاجها ، فإن ذلك سوف يكلفها غاليًا ، وبحيث لا يتبقى لديها من الأموال ما يكفيها لإنتاج البنطلونات لسكانها . وأنا أقول اليوم أنه يتحتم علينا إنتاج هذه الأسلحة، ونحن نلبس البنطلونات أو بدونها ". ولم تنقض سوى سنة واحدة حتى فجرت الصين قنبلتها الذرية الأولى في ١٦ أكتوبر ١٩٦٤.

ويرجع هذا النصر النووي إلى أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ أخذ الجيش الصيني على عاتقه السيطرة على علوم الطبيعة النووية ، وتولى "شو إين – لاى" مهمة الإشراف على هذا المشروع. كذلك سيطر الجيش الصيني على عملية حشد العلماء الصينيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين خارج الصين ، وكانوا حينذاك نحو عشرة آلاف – كان من بينهم أربعة آلاف أعمارهم مابين (٣٥ – ٤٥ سنة) في جامعات ومعاهد أبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويجدر الآن التعرف في هذا المجال على الإسهام السوفييتي ، نظرًا لأن عدم وفاء السوفييت في نظر الصينيين بما تعهدوا به سوف يتحول إلى قطيعة بسبب الشكوك المتبادلة . ففي بادئ الأمر ، لم يدخر الإتحاد السوفييتي وسعًا في تقديم الحاسبات الإليكترونية ، والمفاعلات النووية في نفس الوقت الذي كان فيه علماء الذرة السوفييت يلقنون هذه العلوم في الكليات الصينية . وتم إرسال عدد من الطلبة الصينيين إلى المعاهد والمعامل السوفييتية خصوصًا في دوبنة (Dubna)، وتم على أيديهم إعداد أكثر من ٣٨ر٠٠٠ متخصص صيني في هذا المجال في معاهد الإتحاد السوفييتي ، وكان من بينهم ١٣٠٠ عالم، بالإضافة إلى ٧٥٠٠ طالب. (١)

وبالإضافة إلى ذلك ، شرع الإتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٥٦ في بناء أول مصنع للعزل النووي على شاطئ النهر الأصفر ، حيث تم استكشاف أكبر إرسابات من اليورانيوم عند نقطة لانتشو (Lantceou). وكان الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" ، ورئيس الوزراء السوفييتي خروشوف قد وقعا اتفاقا سريًا في ١٥ أكتوبر يقضي بتعهد الإتحاد السوفييتي بتقديم مواصفات قنبلة ذرية بصفة عينَّة من القنابل الذرية السوفييتية ، وكذلك مفاعلاً ضخمًا مع مواد احتراقه حتى تبدأ باكورة مصنع لانتشو ، وبمقتضى هذه المعاهدة السرية يتعهد السوفييت أيضًا بتوفير غطاء للصين الشعبية ضد احتمالات قيام الأمريكيين بالعدوان على الصين. ولكن بات واضحًا بمرور الوقت أن السوفييت لم يكونوا جادين في إعطاء بكين آية وسائل إستراتيجية هجومية ضد تايوان، نظرًا لأن ذلك قد يتسبب في دخول الإتحاد السوفييتي في صراع مباشر مع الأمريكيين . لذلك سمح الكرملين في ٢٠ يونيو ١٩٥٩ – وبعد الحملة الصينية الفاشلة على فرموزا – إلى فسخ هذا الاتفاق بما ترتب عليه من آثار بالغة في مستقبل العلاقات بين البلدين .

ولقد أعقب إلغاء هذه الاتفاقية مغادرة الخبراء السوفييت تاركين مصنع "

(1) Historama N°. Specical . P.P. 127-131

لانتشو" الذي لم يكن ينتج سوى ٢٥٪ من اليورانيوم المخصب بدلاً مما كان مقدرًا ، وهو نسبة ٩٣٪ . وفي هذا الظرف قبل علماء الطبيعة ، وعلماء الكيمياء الصينيون هذا التحدي .

رد الفعل الصيني إزاء الموقف السوفييتي

لقد كان الرد الصيني على مغادرة الخبراء السوفييت حاسمًا وفاعلاً. ففي مدينة " تشونج كنج" (Tchong-King) تم إعداد "مركز تجمع" لإستقبال كافة الوثائق العلمية الآتية من كل من الولايات المتحدة ، والإتحاد السوفييتي ، وأوروبا على حدٍ سواء ، بل من العالم أجمع حول كافة المواضيع العلمية ، مثل الصواريخ ، والمعدات الفضائية. والحقيقة أن اليابانيين أسهموا بتقديم الترانزستور الذي يستلزم استخدامه في الحاسبات الإليكترونية التي لا غنى عنها للحسابات الفورية لتحديد مسارات الصواريخ . ولم ينقض عشر سنوات إلا وكانت الصين قد استطاعت إعداد ما يقرب من ٦٠٠ر٠٠٠ عالم جديد في هذه الميادين .

بيد أن الخلاف حول الأسلحة النووية كان بلا أدنى شك واحدًا من أهم أسباب الصراع العلني المكشوف بين بكين وموسكو . فالصينيون يرون أن الروس لم تكن لديهم الرغبة الصادقة لدعم الصين لتحقيق مصالحها القومية لتظل معتمدة عليهم عسكريًا ، وأن تبقى مستظلة بالمظلة النووية السوفييتية إلى الأبد . ويرى السوفييت أن "خروشوف" كان قد وطد العزم في تلك الفترة على أن تكون الأولوية للرقابة على الأسلحة بما في ذلك السعى نحو منع الانتشار النووي. ويصير من المنطقي —والحالة هذه— أن يوقف الإتحاد السوفييتي مساعداته النووية للصين .

وهناك موضوع عسكري آخر أطَّل برأسه في عامى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ أسهم في توتر العلاقات وزيادة هوة الشقاق بين البلدين : فقد طلبت بكين مساعدات سوفيتية ضخمة لتوسيع، وزيادة قدرة الأسطول الصيني ، ولم يستجب السوفييت لهذا الطلب ، وقدم السوفييت بدلاً عن ذلك اقتراحا بإنشاء أسطول

صيني – سوفيتي مشترك ، وطلبوا السماح لهم باستخدام السواحل الصينية للسفن الروسية ، الأمر الذي رفضته بكين. ثم تطور نزاع الأراضي بين الصين والهند عام ١٩٥٩ ، ولم يقم السوفييت بما كان يتوقعه الصينيون منهم كدعم لحليفهم في نزاعهم مع الهند ، وبدلاً من أن تقوم موسكو بالضغط على نيودلهي – فإنها أخذت موقفًا محايدًا ، واستمرت حتى في تقديم المساعدات إلى الهند.

ومما يجدر ذكره أن بداية عام ١٩٦٠ شهدت – كما أسلفنا – الصراع العلني المكشوف بين البلدين. ولقد كان للصين دور المبادأة في بداية الستينيات في هذا الصراع – ذلك بالبدء في هجوم أيديولوجي على الإتحاد السوفييتي ، وكان ذلك بتدبير شخصي من الزعيم " ماو تسي – تونج" . وقد تضمن هذا الهجوم مقالة ظهرت في صحيفة الحزب الشيوعي الصيني " العلم الأحمر" تنطق بالمرارة ، وتصب جام غضبها على الإتحاد السوفييتي الذي تخلى عن مبادئ لينين ، وعن القيم الرئيسية للشيوعية . وكان عنوان هذه المقالة " فلتحيا اللينينية " ، وقد نعتت هذه المقالة السوفييت بأنهم التحريضيون الجدد (Revisionists). كذلك تضمنت المقالة توجيه الأنظار بالدرجة الأولى إلى استمرار الصراع الطبقي ، وإلى الحاجة لاستخدام العنف ، وإلى الثورة المسلحة ، وليس " التحول السلمي"، الذي دعت إليه السياسة الجديدة للسوفييت ، والتى أُطلق عليها " التعايش السلمي ".

رد الفعل السوفييتي على هذه الإتهامات

يهمنا الآن ، أن نرى كيف كان رد الفعل السوفييتي على هذه الحملة الضارية. لقد تمثل الرد السوفييتي في ضغط مضاد – ليس فقط على الصعيد الأيديولوجي ، وإنما باتخاذ إجراء "تأديبي" ضد الصين. فقد عمد السوفييت في صيف عام ١٩٦٠ إلى سحب كافة الخبراء السوفييت من الصين – تلك الخطوة التي كان لها تأثير مدمر على الاقتصاد الصيني ، ولقد كانت ذريعة الروس في ذلك أن الصينيين اعتبارا من ١٩٥٨ أصبحوا يتجاهلون نصائح المستشارين السوفيت ، وجعلوا حياتهم لا تطاق بالكيفية التي جعلت

السوفييت لم يعد أمامهم من سبيل سوى استدعائهم إلى موسكو. وقالت موسكو أن هذا الإجراء لم يكن أمرًا مفاجئًا ، وأنه أتى حصيلة سنوات من تصعيد هذه المعاملة السيئة .

وعلى الرغم من أن التهم التي وجهتها موسكو قد لا تخلو من حقيقة، إلا أن سحب الخبراء بهذه الكيفية المفاجئة لا يعدو أن يكون بمثابة إجراء تأديبي للرد على الضغط الأيديولوجي الذي باشرته بكين صراحة ، وربما كان الظن لدى السوفييت أن الصين سوف تستكين لشروطهم ، لكن بكين اتخذت موقفًا اتسم بالعناد ، والإصرار، رغم أن سحب الخبراء أصاب الاقتصاد الصيني بأضرار بالغة ، في وقت كان فيه الاقتصاد الصيني يعاني من متاعب جمة نتيجة الإخفاق في مشروع " القفزة الكبرى إلى الأمام " التي بدأتها الصين في عام ١٩٥٨ من ناحية ، ورداءة الطقس الذي تسبب في محصول زراعي غير مواتٍ من ناحية أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الحزب الشيوعي الصيني كان بمجرد أن تقلد أمور الحكم في الصين اندفع نحو السيطرة على أراضي الأقليات الصينية في بعض المناطق، مثل أراضي القزق ، والأوجور ، ومنطقة إيلي ، وعلى المنغوليين في منغوليا الداخلية . وكان الحزب الشيوعي بإقدامه على هذا العمل قد عمل على انفصام المجموعات العرقية من نفس العنصر عبر الحدود عن بعضها البعض — الأمر الذي جعل الإتحاد السوفييتي في جمهورية منغوليا الشيوعية يتخذ إجراءات مشابهة . ولما زار "خروشوف" بكين لأول مرة عام ١٩٥٤ ، طرح الزعيم الصيني " ماوتسى —تونج" مسألة الوضع القانوني لمنغوليا الخارجية للبحث ، ورفض خروشوف رفضًا قاطعًا مجرد التطرق لهذا الموضوع .

ولكن بعد حلول عام ١٩٦٠ كانت الأوضاع قد تبدلت ، وتدهورت العلاقات بين البلدين ، حتى أصبحت الاحتكاكات على الحدود شديدة الخطورة ، وتدهورت الأوضاع في عام ١٩٦٢ حينما هاجرت أعداد ضخمة من القزق ، والأوجور من أرض الصين ذاهبةً إلى الإتحاد السوفييتي . وظل الحال على هذا المنوال حتى حلول ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، حيث تحولت مسألة الحدود إلى

صراع حول الدعاوى المتبادلة بشأن السيطرة على الأراضي.

ومن العجيب ، أن خروشوف قد ساهم في هذا الوضع – ذلك أنه في ديسمبر ١٩٦٢ أراد الرد على الانتقادات الصينية ، اللاذعة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية ، فغَّير الصينيين ، ونعى عليهم موقفهم المتخاذل في مواجهة الإدارة الاستعمارية لكلٍ من " هونج كونج" ، ومكاو ، رغم كونها أرضًا صينية . فما كان من الصينيين إلا أن أثاروا كافة المعاهدات غير المتكافئة التي أبرموها في الماضي ، بما في ذلك المعاهدة المبرمة بينهم وبين الروس ، وقالوا بأن شروط هذه المعاهدات ينبغي أن تخضع للمراجعة من جديد . فرد السوفييت بالقول ، بأنه ليس هناك موضوعات قائمة تخص الأراضي تخضع للمراجعة – الأمر الذي حمل خروشوف في نهاية عام ١٩٦٣ على أن يبعث لكافة رؤساء الدول والحكومات يحثهم فيه على إبرام معاهدة دولية تستنكر استخدام القوة في حل المشكلات المتعلقة بالأراضي أو بالحدود القائمة .

ولقد أوضحت الصين أن روسيا القيصرية كانت قد استولت على أراضي صينية تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو مربع من خلال تلك المعاهدات غير المتكافئة .. الأمر الذي تنظر إليه الصين في عهدها الحاضر على أنه لا مبرر له. وقد أشارت الصين إلى أنها قد لا تطالب بكافة الأراضي المتنازل عنها بموجب هذه المعاهدات ، إلا أن الإتحاد السوفييتي قد احتل مساحات إضافية حتى بخرقه هذه المعاهدات ذاتها ".

ولم يقتصر الصراع على هذا الحد من التدهور ، بل أسهمت أزمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ – كما سبق الإشارة – إلى زيادة هذا التدهور . وبعد انتهاء هذه الأزمة ، اتهم الصينيون الروس بالمغامرة الجامحة ، والعمل على دفع الأزمة ، ثم اتهموهم بالجبن والاستسلام أمام التهديد الأمريكي. على أن مثل هذه الاتهامات حدثت حينما كانت العلاقات السوفييتية – الأمريكية في أخطر مراحلها ، مما أثار حفيظة الروس، وحقدهم على الصينيين . كذلك ، وجه الروس الانتقادات إلى الصين بالمخاطرة الجامحة أثناء نزاع الحدود بينهم وبين

الهند الذي نتج عنه حرب الحدود في عام ١٩٦٢ – الأمر الذي جعل الروس يقدمون الدعم إلى الهند بتزويدهم بشحنات الأسلحة ، رغم نشوب هذه الحرب الصينية – الهندية.

نقطة اللا عودة في العلاقات الصينية – الروسية

ينبغي الإشارة إلى أن الصرع الصيني – السوفييتي قد تصاعدت حدته في عامى ١٩٦٢ – ١٩٦٣ حتى وصل إلى حدٍ حرج ، يمكن أن يقال عنه بشيء كثير من الدقة أنه قد بلغ نقطة اللا عودة . وكان السبب الأكبر والأساسي لذلك متمثلاً في النزاع بين بكين ، وموسكو حول التجارب النووية .

ولقد جاءت المبادرة في هذا السبيل من الجانب الأمريكي الذي قدم اقتراحا للحكومة السوفييتية ردت عليه بأنها راغبة في عقد اتفاقيات من شأنها الحد من انتشار الأسلحة الذرية. وقامت الحكومة الروسية بإبلاغ ذلك إلى الصينيين . فما كان من بكين إلا أن سارعت بإرسال سلسلة من المذكرات إلى موسكو تحذرها فيها من أن الصين سوف لا تتسامح في مثل هذه الخطوات الرامية لحرمانها من مشروعاتها النووية . لذلك ، فإن الإتحاد السوفييتي حينما أقدم – بالرغم من هذه التحذيرات – على توقيع معاهدة الحد من التجارب النووية (Ban Tneaty Limited Test) من جانب كلٍ من الولايات المتحدة ، وبريطانيا في يوليو ١٩٦٣ فإن الصين بادرت بعنفٍ بالغ بشجبها على اعتبار أنها نوع من " الغش "، وكالت الاتهامات لواشنطن ، وموسكو على حدٍ سواء . وقالت إنهما تحاولان " تكريس احتكارهما النووي ".

على أنه أتت بعد ذلك فترة من الهدوء في التوتر بين البلدين في خريف عام ١٩٦٣ ، حينما تمت إزاحة خروشوف عن السلطة ، وفي نفس الوقت تقريبًا – وإن كان بمحض الصدفة – قيام الصين بتفجير قنبلتها النووية الأولى مما كان له انعكاسات على العالم بأسره . ثم ما لبثت حرب فيتنام أن أسهمت في توتر العلاقات من جديد . ففى عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ كثفت الولايات المتحدة من تواجدها في فيتنام مما أصاب كلاً من موسكو وبكين بالانزعاج الشديد .

لقد كان موقف السوفييت من حرب فيتنام هو دعوتهم للصينيين من أجل توحيد الجهود لمساعدة فيتنام الشمالية ، لكن الصين أصرت على رفض أى تعاون مع السوفييت في هذا السبيل ، وبدلاً من ذلك كانت تعمل على إعاقة الجهود السوفييتية لمساعدة فيتنام الشمالية في الوقت الذي مضت هى في مساعدة الفيتناميين الشماليين ضد العدوان الأمريكي. ثم بعد ذلك نجد الصين خلال عام ١٩٦٦ ، وقد انغمست إلى أخمص قدميها في صراعات سياسية داخلية سببتها " الثورة الثقافية ". ولقد انعكس أثر هذه الاضطرابات الداخلية على السياسة الخارجية الصينية حيث اتخذ قادة بكين موقفًا ثوريًا متصلبًا ، وإتجهوا نحو الداخل لإحكام نوع من العزلة ، الأمر الذي جعل علاقات الصين مع غالبية الدول – بما فيهم الإتحاد السوفييتي – تصل إلى أدنى مستوى لها خلال الفترة من ١٩٦٧ – ١٩٦٨ . وقد تجلى ذلك في قيام الحرس الأحمر الصيني بمحاصرة السفارة السوفييتية في بكين .

المواجهة بين البلدين:

لقد تمت الإشارة إلى أن احتلال السوفييت عام ١٩٦٨ لتشيكوسلوفاكيا قد أصاب الصين بنوع من الانزعاج الشديد ، حيث كانت هذه الواقعة تشكل في نظرهم سابقة خطيرة باحتمالات التدخل السوفييتي في شؤون الصين . ثم بلغت مخاطر الصدام بين البلدين أشدها سخونة في عام ١٩٦٩ حين حدثت مصادمات عسكرية خطيرة مرتين : إحداهما في ٢ مارس ، والثانية في ١٥ من نفس الشهر في منطقة شنباو (Chenpao)، وكان يمكن لهذه الأحداث أن تتسبب في نشوب حرب بينهما – غير أن الطرفين تداركا الوضع قبل أن يصل إلى حافة الهاوية.

ومنذ عام ١٩٦٩ ، تجمد الوضع بين البلدين نتيجة السعى نحو حل الأزمة بين الطرفين حول الحدود ، وهدأت حدة الأزمة ، ثم بحلول عام ١٩٧٤، بدأت حكومتا البلدين بإصدار تلميحات يُفهم من ثناياها أن العلاقات بينهما قد تطورت إلى أحسن . وفي شهر نوفمبر ١٩٧٤ ، فاجأت بكين العالم أجمع بأن

بعثت برسالة إلى موسكو تقترح فيها إبرام ميثاق عدم اعتداء – لكن هذا العرض لم يسفر عن شيء .

ولقد حاول السوفييت من ناحيتهم على مدار عدة سنوات أن يصدروا عدة تصريحات توحي بأنهم على استعداد للتصالح دون أن يغيروا من موقفهم الأساسي. وفي أبريل ١٩٧٦ نشرت صحيفة " البرافدا" مقالاً هامًا يوحي بالرغبة في التصالح طالما أن الزعيم السوفييتي "ماوتسى – تونج" قد توارى من على المسرح. وفي شهر أكتوبر نشرت الصحيفة ذاتها مقالاً يتضمن تهديدًا مقنعًا للصين ، بأن ذكرت بأنه ليس هناك من سبب موضوعي للعداء الصيني – السوفييتي . أما التهديد ، فكان بالقول بأنه ما لم يعثر الزعماء الصينيون الجدد على " لغة مشتركة " للتفاهم مع موسكو خلال الشهر القادم ،" فإنه سوف لا يكون من المستطاع منع صدور قرار لا رجعة فيه من جانب الزعماء السوفييت – الأمر الذي أثار وزير الخارجية الأمريكي "هنري كيسنجر"، ودفعه إلى التصريح بقوله بأن الولايات المتحدة تعتبر أى تهديد للصين من جانب آية دولة أخرى يُعد أمرًا خطيرًا .[1]

أثر الفجوة الحضارية على العلاقات الصينية – السوفييتية:

في النهاية ، قد يحسن الإشارة في هذا المقام إلى نقطة هامة لعبت دورًا كبيرًا في توسيع الشقة بين البلدين ، وهى المخاوف التاريخية غائرة الجذور التي كان من نتيجتها هذا الصراع المتصل بين الصين ، والإتحاد السوفييتي مما جعل الوعى يتزايد من كلا الجانبين حول الفجوة الحضارية أو الثقافية التي تفصل بينهما .

فلقد كان الظن لدى قادة كل من البلدين عقب انتصار الثورة الشيوعية الصينية عام ١٩٤٩ أنه من المأمول أن يحدث امتزاج حميم بين المجتمعين السوفييتي والصيني ، انطلاقًا من أن القيم السياسية في ظل الماركسية اللينينية سوف تتجاوز الفجوة الحضارية التاريخية بين الشعبين . ولم يكن غريبًا إذن أن

---

(1) Barnet. A.D. China and the Major Powers in East Asia. P. 51

يكون الشعار الذي رفعته بكين عام ١٩٥٢ هو " أن الإتحاد السوفييتي اليوم هو صين الغد". ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذا الشعار كان من جانب واحد. فلم نسمع عن شعارات سوفيتية مقابله تدعو إلى أن ينهل السوفييت شيئًا من القيم الصينية . لذلك فإن هذه العلاقة لم تدم طويلاً فبمجرد أن ظهرت المصالح المتعارضة أصبح واضحًا أن الفجوة الحضارية لم يكن من المستطاع تجاوزها .

وفي الآونة الراهنة أصبح الصفوة من المثقفين من الصينيين يشددون على القول بأن بلادهم تتمتع بوضوح فريد ، وأنه من المرغوب فيه الحفاظ على قيمتها المتميزة . فمنذ اتصالاتهم الأولى بالغرب ، خلال القرن التاسع عشر ، كانت المشكلة الرئيسية بالنسبة للصينيين هى كيفية المحافظة على القيم الأساسية في وجه المؤثرات " التخريبية " الوافدة من الخارج في نفس الوقت الذي آمنوا فيه بضرورة استيراد المعرفة التكنولوجية ، والعلمية اللازمة لتقوية دعائم الصين ، وتحديث نظمها ، وإن أتى ذلك متأخرًا ، إذا قورن بالنهضة الحديثة اليابانية في عصر " الميجي".

كذلك ، سرعان ما أصبح هناك ميل للنظر إلى الإتحاد السوفييتي كدولة بيضاء غربية استعمارية تحمل قيمًا غريبة على الصين من ناحية، تسببت لها في نوع من الاضطرابات من ناحية أخرى .

ولعل من المفيد هنا أن نذكر أنه حتى قبل عام ١٩٤٩ ، وعلى الرغم من الجوار من الناحية الجغرافية ، فلم تحتفظ الصين بوشائج حضارية مع الروس بقدر ما كانت تحتفظ بعلاقات ثقافية أو حضارية مع الدول البحرية الاستعمارية الأخرى.